

## تفسير السعدي

@ 241 @ سخط ا □ عليهم وفي العذاب هم خالدون \* ولو كانوا يؤمنون با □ والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياءً ول كن كثيرا منهم فاسقون ) ^ يقول تعالى ، لنبيه صلى ا □ عليه وسلم : ^ ( قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ) ^ أي : لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل . وذلك كقولهم في المسيح ، ما تقدم حكايته عنهم . وكفلوهم في بعض المشايخ ، متبعين ^ ( أهواء قوم قد ضلوا من قبل ) ^ أي : تقدم ضلالهم . ^ ( وأضلوا كثيرا ) ^ من الناس ، بدعوتهم إياهم إلى الدين ، الذي هم عليه . ^ ( وضلوا عن سواء السبيل ) ^ أي : قصد الطريق ، فجمعوا بين الضلال والإضلال . وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر منهم ، من اتباع أهوائهم المردية ، وآرائهم المضلة . ثم قال تعالى : ^ ( لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ) ^ أي : طردوا وأبعدوا عن رحمة ا □ . ^ ( على لسان داود عيسى ابن مريم ) ^ أي : بشهادتهما وإقرارهما ، بأن الحجة قد قامت عليهم ، وعاندوها . ^ ( ذلك ) ^ الكفر واللعن ^ ( بما عصوا وكانوا يعتدون ) ^ أي : بعصيانهم □ ، وظلمهم لعباد ا □ ، صار سببا لكفرهم ، وبعدهم عن رحمة ا □ ، فإن للذنوب والظلم ، عقوبات . ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثالات ، وأوقعت بهم العقوبات أنهم : ^ ( كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ) ^ أي : كانوا يفعلون المنكر ، ولا ينهى بعضهم بعضا . فيشترك بذلك المباشر وغيره ، الذي سكت عن النهي عن المنكر ، مع قدرته على ذلك . وذلك يدل على تهاونهم بأمر ا □ ، وأن معصيته خفيفة عليهم . فلو كان لديهم تعظيم لربهم ، لغاروا لمحارمه ، ولغضبوا لغضبه . وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبا للعقوبة ، لما فيه من المفاصد العظيمة . منها : أن مجرد السكوت ، فعل معصية ، وإن لم يباشرها الساكت . فإنه كما يجب اجتناب المعصية فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية . ومنها : ما تقدم ، أنه يدل على التهاون بالمعاصي ، وقلة الاكتراث بها . ومنها : أن ذلك يجريء العصاة والفسقة ، على الإكثار من المعاصي ، إذا لم يردعوا عنها ، فيزداد الشر ، وتعظم المصيبة الدينية والديوية ، ويكون لهم الشوكة والظهور . ثم بعد ذلك ، يضعف أهل الخير ، عن مقاومة أهل الشر ، حتى لا يقدر على ما كانوا يقدر على أوله . ومنها : أنه بترك الإنكار للمنكر يندرس العلم ، ويكثر الجهل . فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص ، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظن أنها ليست بمعصية ، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة . وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم ا □ ، حلالا ؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا ؟ ومنها : أن بالسكوت على معصية العاصين ، ربما تزينت المعصية في صدور الناس ، واقتدى

بعضهم ببعض . فالإنسان ، مولع بالاعتداء بأحزابه ، وبني جنسه . ومنها ومنها . فلما كان السكوت على الإنكار بهذه المثابة ، نص الله تعالى ، أن بني إسرائيل الكفار منهم ، لعنهم بمعاصيهم ، واعتدائهم ، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم . ^ ( لبئس ما كانوا يفعلون ) ^ . ^ ( ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ) ^ بالمحبة والموالة والنصر . ^ ( لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ) ^ البضاعة الكاسدة ، والصفقة الخاسرة . وهي : سخط الله ، الذي يسخط لسخطه كل شيء ، والخلود الدائم في العذاب العظيم . فقد ظلمتهم أنفسهم ، حيث قدمت لهم ، هذا النزل ، غير الكريم . وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم . ^ ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ، ما اتخذوهم أولياء ) ^ . فإن الإيمان بالله وبالنبي ، وما أنزل إليه ، يوجب على العبد موالة ربه ، وموالة أوليائه ، ومعاداة من كفر به وعاداه ، وأوضع في معاصيه . فشرط ولاية الله والإيمان به ، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء . وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط ، فدل على انتفاء المشروط . ^ ( ولكن كثيرا منهم فاسقون ) ^ أي : خارجون عن طاعة الله والإيمان به ، وبالنبي . ومن فسقهم ، موالة أعداء الله . ^ ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون \* وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين \* وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين \* فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ) ^ ثم قال تعالى : ^ ( لتجدن أشد الناس عداوة ) ! 2 2 ! ( أصحاب الجحيم ) ^ . يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين ، وإلى ولايتهم ، ومحبتهم ، وأبعدهم من ذلك : ^ ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ) ^ . فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق ، أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين ، وأكثرهم سعيًا في إيصال الضرر إليهم . وذلك ، لشدة بغضهم لهم ، بغيا ، وحسدا ، وعنادا ، وكفرا . ^ ( ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ) ^ . وذكر تعالى لذلك عدة أسباب : منها : أن ^ ( منهم قسيسين ورهبانا ) ^ أي : علماء متزهدين ، وعبادا في